المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الثالثة تخصص: لسانيات تطبيقية
مادة علم النفس اللغوي
أستاذ المادة: د/ ع.ح. معزوز

المحاضرة الثالثة: علاقة علم اللغة النفسي بالعلوم الأخرى.

1 علاقته باللسانيات.

توطئة: المعروف عن العلوم –وخاصة العلوم الإنسانية– أنها تتقاطع كثيرا فيما بينها، ويأخذ بعضها من بعض، وهي سنة في جميع العلوم، إذ تستثمر هذه في معطيات تلك، وتستعين بها وتستعملها فيما يحقق لها نتائجها التي من أجلها وُجدت، إذ "بات تشابك العلوم وتداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث، فالعلوم في اقترابها من حقيقة الظاهرة المدروسة تنفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها، فتزيد وقتئذ إشكالية البحث تشعبا أو غموضا".

وعلى هذا فحري التطرق إلى العلوم التي تتقاطع مع علم اللغة النفسي، من أجل الوقوف على القضايا الخاصة بتلك الفروع، وكيف استثمرها هذا العلم من أجل تحقيق أهدافه. وسنركز على العلوم التي لها علاقة مباشرة بعلم اللغة النفسي، وهي اللسانيات وعلم النفس وعلم التربية.، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

1 علاقة علم اللغة النفسي باللسانيات:

لا يخفى على الباحث في علم اللغة النفسي أن هذا الميدان مزيج بين علم اللسان وبين علم النفس، فهو يهتم بدراسة قضايا لغوية من وجهة نظر علم النفس، وظهر هذا الارتباط بين علم اللغة النفسي منذ الجهود الأولى التي تعد بداية هذا العلم، وهي أعمال نعوم تشومسكي من خلال النظرية التوليدية التحويلية، إذ "يعتقد تشومسكي أن وصف اللغة ينبغي أن يركز على هذا الجانب العقلي المعرفي، أي وصف القواعد المحدودة، وكيفية إنتاجها جملا غير محدودة، والعوامل التي تتحكم في ذلك، وعدم الاقتصار على وصف البناء السطحي للغة، وأن الكفاية اللغوية أولى بالدراسة والتحليل من الأداء اللغوي". ويقول محمود فهمي حجازي في هذا الصدد: "ترجع العلاقة بين علمي اللغة والنفس إلى طبيعة

اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني. فإذا كان علم النفس يعنى بدراسة السلوك الإنساني عموما فإن دراسة السلوك اللغوي تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس".

ونتيجة لذلك، "فإن مجال الدراسة النفسية للغة هو: كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية To Encode وهذه عملية علية، ينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة. وعندما تصل اللغة إلى المخاطب أو المتلقي، ويقوم بترجمة وتحويل هذه الرموز اللغوية في ذهنه إلى المعنى المراد To decode، تتم عملية عقلية أخرى. وهكذا تتكون المعاني النفسية لدى الفرد بالنسبة إلى الأشياء والموضوعات والأحداث... حيث يستقبلها وبالتالي تحدث عملية متوسطة داخلية تؤدي إلى استجابات المعنى".

2 دواعي البحث عن العلاقة بين علم اللغة النفسي واللسانيات:

يعد علم اللغة النفسي فرعا عن اللسانيات التطبيقية، ذلك أنه يبحث في الظواهر الوظيفية للغة، وذلك باستثمار مفاهيم اللسانيات النظرية، لذلك كان البحث فيه يتناول جوانب كثيرة من القضايا اللسانية، ويكون ذلك من خلال دراسة العناصر اللسانية الصغرى التي تكوّن البنية اللغوية، والتي تتناول من خلال المستويات اللغوية، حيث تعد دراسة المستويات اللغوية أمرا غاية في الأهمية في مجال علم اللغة النفسي؛ ويعد العصيلي دواعي تلك العلاقة في الأسباب الآتية:

- أن علم اللغة، الذي يعد علم اللغة النفسي أحد فرعه، هو: العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية من جميع جوانبها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية والتداولية والثقافية، ويبحث في أساليب اكتسابها واستعمالها، وطرائق تعلمها وتعليمها.
- أن اللغة، التي هي موضوع علم اللغة النفسي، مكونة من هذه المستويات الأربعة (الأصوات، والصرف، والنحو، والمفردات والدلالة)، لكنها لا تكتسب ولا تستعمل من خلال مستوى واحد فقط، فالطفل يكتسب لغته وهو لا يدرك الفروق بين هذه المستويات، والأحداث اللغوية تتفاعل عناصرها في أثناء الكلام تفاعلا تاما.
- أن أي حديث عن وظائف علم اللغة النفسي ومجالاته وموضوعاته؛ كاكتساب اللغة، وفهم الكلام وإنتاجه، ومشكلات اللغة بأنواعها، يكون من خلال هذه المستويات اللغوية؛ فلا بد من

الحديث في هذا العلم عن كيفية إصدار الصوت، وتشكل الكلمات صرفيا، وبناء الجمل نحويا، واكتساب المفردات مبنىً ومعنىً، ولا فائدة من الحديث عن هذه الجوانب نفسيا قبل التعريف بها لغويا.

3 الجوانب النفسية لمستويات التحليل اللساني:

يمكن بيان تلك العلاقة من خلال النظر في هذه المستويات:

3-1 المستوى الصوتي: وتتجلى هذه من خلال النظر في جانبي هذا المستوى، وهما الجانب الفيزيولوجي والجانب الوظيفي، وملاحظه جوانب تكون الكلام تمكّن من استنتاج تلك العلاقة؛ إذ تتكون من الجوانب الآتية:

- جانب إصدار الأصوات أو الجانب النطقي، ويطلق عليه أيضا الجانب الفيزيولوجي أو العضوي للأصوات، ويتمثل في عملية النطق وما تنتظمه هذه العملية من حركات أعضاء النطق.

- جانب الانتقال أو الانتشار في الهواء أو الجانب الأكوستيكي أو الفيزيائي ويتمثل هذا الجانب في الموجات الصوتية المنتشرة في الهواء نتيجة لحركات أعضاء لنطق.

- جانب استقبال الصوت أو الجانب السمعي، ويتمثل في الذبذبات المقابلة للموجات الصوتية والتي تؤثر على طبلة أذن السامع وتقوم بعملها في ميكانيكية أذنه الداخلية وفي أعصاب سمعه حتى يدرك الأصوات.

وينتج عن هذه الجوانب ثلاث فروع لعلم الأصوات؛ وهي:

- علم الأصوات النطقي أو الفيزيولوجي.
- علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي.
- علم الأصوات السمعي.

وهذا الفرع الأخير (علم الأصوات السمعي) ينقسم إلى جانبين: جانب عضوي، وظيفته النظر في استقبال الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات. وجانب ثانٍ هو جانب نفسي، وظيفته البحث في تأثير هذه الذبذبات على أعضاء السمع –الداخلية خاصة– وفي عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك.

وتتجلى هذه العلاقة بشكل واضح من خلال تفسير بلومفيلد للعملية التخاطبية، وهي عنده كما يأتي:

1-الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام أو في أثنائه.

2-عملية إصدار الكلام المتمثل في أصوات ينتجها الجهاز الصوتي (جهاز النطق).

3-الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء النطق وبوصفها أثرا مباشرا من آثار تلك الحركات.

4-العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي لدى السامع والتي وقعت بوصفها رد فعل مباشر للموجات والذبذبات المنتشرة في الهواء,

5-الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن السامع عند سماعه الكلام واستقباله للموجات والذبذبات الصوتية المنقولة إليه بواسطة الهواء.

إذ نلاحظ أن الجانبين الأول والخامس ينتميان إلى مجال علم النفس، ويجدر الاهتمام بهما من هذا الجانب، وقد أخرجهما اللغويون من مجال الدراسة اللغوية وذلك:

- أن هذين الجانبين نفسيان عقليان، واللغوي معني أول الأمر وآخره بالأحداث اللغوية المنطوقة فعلا لا بمصادرها أو آثارها النفسية العقلية.

أن هذه العمليات النفسية والعقلية عمليات معقدة وغامضة إلى حد يجعل الحكم عليها من وجهة النظر اللغوية حكما تعوزه الدقة والوضوح، وهي تنتمي أصلا إلى مجال علم النفس.

3-2 المستويين الصرفي والنحوي:

ويكون ذلك من خلال فهم آليات اكتساب المفردات والقواعد اللغوية، فالطفل يكتسب المفردات؛ "لكن اكتساب المفردات لا يكفي، لأنه ل يجوز استعمال المفردات كيفما اتفق، بل لا بد من مراعاة نسق معيّن، ولا بد من إعطاء كل كلمة رتبتها في سياق الكلام، ولو كانت عملية التكلم مجرد

وصف للمفردات لكان تعلم اللغات أمرا هينا، ولاستطعنا أن ننشئ مقالة في أية لغة كانت، باستعمال القاموس وحده".

ومن جهة أخرى، "يرى أصحاب نظريات علم النفس اللغوي أن الأفكار المتضمنة في اللغة ذات معانٍ راسخة في بناء عميق لا يقوم المتحدث بالتعبير عنه، وإنما يحوله 'بطريقة لا شعورية- وفقا لبعض القواعد التحويلية إلى البناء السطحي، وهي تخضع للقواعد النحوية والتي تستعمل في الحديث والكتابة".

وإذا حاولنا النظر في مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية من منظور علم اللغة النفسي فإننا نلاحظ أن "الجمل التي نستخدمها في أحاديثنا أو كتابتنا يمكن تحويلها تبعا للقواعد النحوية المختلفة، فإذا استخدم المتحدث في حديثه حملتين أو أكثر، يمكن تحويلهما إلى جملة واحدة تحمل نفس المعنى".

فعملية فهم بناء الكلام على مستوى البنية العميقة، وآليات انتقاله إلى مستوى البنية السطحية لا يمكن أن تتم على المستوى اللغوي وحده، بل لا بد من تناوله من وجهة نظر نفسية.

3-3 المستوى الدلالي:

ويختص هذا الجانب أساسا بالبحث في "معاني الألفاظ والأحداث والتي تستحضر صورا معينة لدى الفرد. حيث إن بعض الألفاظ تحصل على معناها من خلال ارتباطاتها الانفعالية بالمواقف المتباينة التي مر بها الفرد ويتشكل معناها الدلالي وفا لهذه الخبرات السارة منها والمؤلمة".

ونشأ من العلاقة بين علم الدّلالة وعلم النّفس فرع من فروع اللّسانيات النفسية، وهو نقطة التقاء بينهما، وتتعلق بكيفية تركيب اللغة سواء عند إنتاجها أو عند استقبالها، وهذه تشير إلى مدى ارتباط الدلالة بالنحو، فقد عالج علم النفس الجانب الذاتي للغة، واهتم بالإدراك لمعرفة إدراك المتكلم للكلمات وتحديد الملامح الدلالية، كما يهتم أيضا بكيفية اكتساب اللغة وتعلُّمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري.

خاتمة:

تتحدد علاقة علم اللغة النفسي باللسانيات من خلال النظر في مستويات التحليل اللساني، وكيفية عمل الوحدات اللسانية لتشكل النسق اللغوي، إذ لا يمكن فهم ذلك التوليف بين العناصر اللسانية وانتقالها من مستوى إلى آخر دون ربطها بالجوانب النفسية، وهو ما يبحث فيه علم اللغة النفسي.